

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[88] البداية لما فعلوه واعترفوا بذنبهم، لكنهم استأنسوا تدريجياً بفعلهم، وزالت من نفوسهم حساسيتهم السابقة تجاه الذنب، ووصل أمرهم إلى حدٍّ يجدون اللذة والإنشراح في الانحراف، وقد يصفون عليه صفة الواجب الإنساني أو الواجب الديني!! وفي تأريخنا الإسلامي ظهر مجرمون سفّاكون مولعون بإزهاق الأرواح والتنكيل بالمسلمين كما ذكر في حالات "الحجاج بن يوسف الثقفي" أنه كان يضع لأعماله الإجرامية تبريرات دينية، ويقول مثلاً: إن الأ سلّطنا على هؤلاء النّاس المذنبين لنظلمهم، فهم مستحقون لذلك!! وكذلك قيل: إنّ جنود المغول خطب في أحد مدن إيران الحدودية وقال: أَلستم تعتقدون أن عذاب الأ يصيب المذنبين؟ فنحن عذاب الأ عليكم، فلا ينبغي لكم المقاومة. 2 - لماذا يصرّ الأنبياء على هداية هؤلاء إذا كانوا لا يهتدون؟ وهذا سؤال آخر يُطرح في إطار الآيات المذكورة. والجواب عليه يتضح لو عرفنا أن العقاب الإلهي يرتبط بمواقف الإنسان العملية وسلوكه الفعلي، لا بما يُكنّنه في قلبه من زيغ وضلال فقط. من هنا كان لابدّ من توجيه الدعوة حتى إلى هؤلاء الذين لا يهتدون، بعد ذلك يستحق الفرد العقاب تبعاً لموقفه من الدعوة. بعبارة أخرى لابدّ من "إتمام الحجّة" قبل العقاب. بعبارة موجزة: الثّواب والعقاب يتوقفان حتماً على العمل بعد إنجازه، لا على المحتوى الفكري والروحي للفرد. أضف إلى ما سبق: أن الأنبياء بُعثوا للناس جميعاً، وهؤلاء الذين (طَبَعَ الأ عَلاَى قُلُوبِهِمْ) قليلون في المجتمع، أما الأكثرية فهم التائهون الذين يتقبّلون الهداية ضمن برنامج تعليمي تربوي صحيح.